بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

ومن سلك طريقه إلى يوم الدين

العنوان

" مؤيدات الدرس الحديثي عند الشيخ ابن باديس "

Title

Supports of the hadith lesson according to Sheikh Ibn Badis

مداخلة موجهة للملتقى الوطني : الدرس التفسيري والحديثي عند علماء جمعية العلماء المسلمين ـ الجهود والمناهج والاتجاهات ـ والمنظم بتاريخ :25 ـ 26 رجب 1445 هـ الموافق لـ : 06 ـ 07 فيفري 2024 م، من قبل كل من مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية وكلية أصول الدين.

الأستاذ الدكتور : نصر سلمان

مدير مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية

كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية، قسنطينة .

الملخص

يتناول هذا الموضوع بالدراسة بعض الأسس، والركائز، والمؤيدات التي اتّكأ عليها الشيخ عبد الحميد بن باديس في طَرْقِه لدرسه الحديثي، والتي كانت منصبة في الأعم الأغلب على تجليته للجوانب العقدية، ومحاربة البدع، ودحض الشبهات، وتعزيز المناحي التربوية والتعليمية في نفوس مخاطبيه، مع اهتمامه البالغ بإسقاط مضامين مادته العلمية على أحداث واقعه المعيش، وهذا دون إغفال منه لترسيخ نزعة القيم الإنسانية، وغرس قواعد ومقومات الهوية في بعدها الإسلامي، والعربي، والوطني، في كيان طلابه ومريديه، مع اعتناء ملحوظ بتشبع دروسه بتلك النبرة الإصلاحية، والروح الدعوية، والصبغة التطبيقية، التي ترتقي بالطالب من التلقّي النظري، إلى الترقي العملي المنشود .

Abstract : This topic covered by the study aims to touch upon some of the foundations, pillars, and supports that Sheikh Abdul Hamid Ibn Badis relied on in his methods for his hadith study, which were mostly focused on his clarification of the doctrinal aspects, combating heresies, refuting suspicions, and strengthening the educational and learning aspects in the souls of his addressees. With his great interest in projecting the contents of his scientific material onto the events of his living reality, and this without neglecting to consolidate the tendency of human values, and instilling the rules and components of identity in its Islamic, Arab, and national dimensions, in the entity of his students and disciples, with a remarkable care to imbue his lessons with that reformist tone and spirit. The advocacy and applied nature, which elevates the student from theoretical learning to the desired practical advancement

الكلمات المفتاحية : مؤيدات، الدرس الحديثي، ابن باديس .

Keywords :supporters, hadith lesson, Ibn Badis

الأستاذ الدكتور : نصر سلمان

مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية

كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية، قسنطينة .

نص مداخلتي الموجهة لملتقاكم المبارك، الموسوم بـ : " الدرس التفسيري والحديثي عند علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ـ الجهود والمناهج والاتجاهات ـ)

والتي تندرج ضمن :

المحور الأول : ماهية الدرس التفسيري والحديثي في كتابات جمعية العلماء المسلمين .

نص المداخلة

مقدمة : لم يكن الشيخ عبد الحميد بن باديس مجرد مُعلّم يتكسب من مهنته، أو واعظ يقوم بوظيفته، وإنما كان رجلا يحمل هم دينه، ووطنه، وقوميته العربية، وأمته الإسلامية، مما جعل ذلك كله ينعكس على درسه الحديثي، الذي صاغ له مؤيدات، ودعّمه بمقومات وأسس تتساوق وتتناغم مع هذه التوجهات والقناعات الدفينة في كيانه، مما حدا بهذا الدرس لأن تنبني مفاصله، وتعتمد قواعده على جملة من المؤيدات التي تحلّق بسقف هذا الموضوع المطروق عاليا في مناحي الحياة المختلفة، والتي سنلج بابه، ونقف على أعتابه، ونتذوق حلو رضابه، من خلال توظيف الشيخ ابن باديس لهذه المؤيدات في درسه الحديثي، والتي سنجلي كنهها من خلال إبراز الإشكالية المنوطة بها كموضوع لملتقاكم المبارك ، مع التطرق لأسباب اختياره ،وأهميته ،وأهدافه ، ،والدراسات السابقة له ،والمنهج المتبع فيه،وخطته الإجمالية على النحو الآتي :

1 ـ الإشكالية :إن إشكالية هذا الموضوع تنبني على سؤال رئيس مفاده :ما هي أبرز المؤيدات والأسس والقواعد التي انبنى وارتكز عليها الدرس الحديثي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى ؟، وجملة من الأسئلة الفرعية تتمثل في : ما حض التركيز على الجوانب العقدية، ومحاربة البدع ودحض الشبهات في مضامين الدرس الحديثي عند الشيخ ابن باديس ؟،وما نصيب النواحي التربوية والتعليمية، والإسقاطات الواقعية عبرها ؟، وما مقدار إبرازه لنزعة القيم الإنسانية ومقومات الهوية فيها ؟، وما درجة اهتمامه بمناحي القيم الروحية، والإصلاحية، والاجتماعية، والأخلاقية، والحضارية، والدعوية فيها ؟ وما مدى تركيزه على الجوانب التطبيقة عبرها ؟ .

2 ـ مفاهيم البحث الأساسية : إن المتأمل في موضوع مداخلتنا هذه يستوقفه مصطلحان هما : المؤيدات، والدرس الحديثي عند الشيخ ابن باديس، مما يستدعي بيان المقصود منهما، حيث قصدنا بهذه المؤيدات، تلك الأسس والمرتكزات التي وظفها الشيخ ابن باديس في عرض مضامين درسه

الحديثي، كاستقرائه لواقعه المعيش، وإسقاط دروسه عليه، وكتوظيفه للجوانب التربوية والأخلاقية فيه، وكإحاطته بهالة من الأبعاد الحضارية والتربوية والدعوية .

أما الدرس الحديثي عند الشيخ ابن باديس فنقصد به كيفية تعامله مع أسانيد هذه الأحاديث، قبولا وردا، ومع متونها شرحا واستخراجا، واستنباطا، وإسقاطا على الواقع المعيش .

3 ـ أسباب اختيار الموضوع : هناك جملة من الأسباب الداعية لاختيار هذا الموضوع الموسوم بـ : " **مؤيدات الدرس الحديثي عند الشيخ ابن باديس** "، نحاول حوصلتها في النقاط الآتية :

أ ـ الشعور بالمسؤولية في إبراز تراث الشيخ ابن باديس الحديثي وتجلية معالمه للأجيال الصاعدة حتى تتروّى من غزير معينه الصافي، وتستفيد من رضاب نبعه السلسبيل .

ب ـ تجلية موسوعية اهتمامات الشيخ ابن باديس في طَرْقِه للدرس الحديثي، وذلك من خلال تناوله فيه لمجالات شتى تتعلق بإصلاح الفرد والمجتمع، وتؤصل لغرس المبادئ الإنسانية، والوطنية، والقيمية، والدينية، في النفوس .

ج ـ ولعي الكبير بتراث جمعية العلماء المسلمين عموما، وتراث الشيخ ابن باديس خصوصا، مما حدا بي إلى محاولة تنسّم عبير مضامينه، والوقوف على عبره وعظاته .

4 ـ أهمية البحث : يكتسي موضوعنا الموسوم بـ : " مؤيدات الدرس الحديثي عند الشيخ ابن باديس " أهمية بالغة، وذلك لارتباطه بالمصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، ولكون مواضيعه ذات صلة وثيقة بتصحيح العقائد، وتهذيب السلوك، ومقاومة البدع، ومقارعة الشبهات، وغرس المثل السامية، ونشر الأخلاق السامقة، وتعزيز الهوية في بعدها الديني، والقومي، والقطري، وتقوية روح المواطنة، وترقية المبادئ الإنسانية، ونحو ذلك من المكارم والفضائل التي ترتقي بمتمثليها إلى مصاف القيادة والريادة والسيادة .

5 ـ أهداف البحث :إن لهذا البحث أهدافا متعددة، يمكن إماطة اللثام عنها إجمالا في النقاط الآتية :

أ ـ بيان الجهود الجبارة التي كان يبذلها الشيخ ابن باديس في خدمة السنة النبوية الشريفة من خلال تدريسها وتجلية مضامينها لطلبته وبني وطنه حتى بسيروا على منهاجها وهداها .

ب ـ بيان حنكة الشيخ ابن باديس في تخيره في دروسه الحديثية لتلك المرويات التي تغرس مبادئ العقيدة في النفوس، وتحارب البدع، وتقاوم الرذيلة، وتنفي الشبهات .

ج ـ إبراز مدى جودة هذه الدروس الحديثية، التي كان ينتقي لها الشيخ ابن باديس النصوص المؤصلة للقيم التربوية، والتعليمية، والروحية، والإصلاحية، والحضارية، والدعوية، والأخلاقية، والاجتماعية، والتي تغرس في النفوس ركائز مقومات الهوية في مناحيها المختلفة، الإسلامية، والعربية، والقطرية .

6 ـ الدراسات السابقة :إن الدراسات والمصنفات حول الشيخ عبد الحميد بن باديس وجهوده العلمية والفكرية، والدعوية، والتربوية، من الكثرة بمكان، مما يجعل المتسور لميدان البحث في سيرته الذاتية، أو العلمية، يقرّ بأنه قد سبقه لذلك فئام من الباحثين والدارسين، ويجد نفسه يقف على العديد من تلك الأبحاث، والدراسات، والكتابات العديدة، والتي منها :

ـ مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ومجالس التذكير من حديث البشير النذير، للشيخ ابن باديس

ـ المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله، لمحمد الصالح الصديق.

ـ الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، لعمار طالبي .

ـ ابن باديس حواشي وهوامش من الصميم، استبصار في خطوط المرايا المضيئة لسليمان عشراتي.

ـ التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس، من إعداد مركز البحوث والدراسات في مجلة البيان. .

ـ ابن باديس وعروبة الجزائر، لمحمد الميلي.

بعد عرضنا لبعض هذه الدراسات السابقة لموضوعنا هذا، يمكننا القول بأن ما يتميز به بحثنا عنها كونه قام بلملمة شتات ما تفرق في طياتها، وما توزع في مضامينها، لينتظم عقده في مورد واحد مما يجعله موطنا للعديد من القضايا والأفكار التي عالجها موضوعنا حول مؤيدات الدرس الحديثي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، والتي كانت متناثرة في هذه الأوعية العلمية سالفة الذكر، مما يجعل موضوعنا موئلا لتجميعها، ومكانا متميزا لانسجام محتوياتها المتفرقة في موضع واحد .

7 ـ خطة البحث : سوف نتناول هذا البحث من خلال مقدمة و سبع نقاط، وخاتمة على النحو الآتي :

المقدمة : وسنتطرق فيها لكل من إشكالية البحث ،وأسباب اختياره ،وأهميته ،وأهدافه ،والدراسات السابقة له،وخطته الإجمالية .

أما النقاط السبع المكونة للحمة البحث وسداه فكانت الأولى منها معقودة لتجليته للجوانب العقدية، ومحاربة البدع ودحض الشبهات خلال الدرس الحديثي، أما الثانية فخصصناها لتركيزه على إبراز وترسيخ النواحي التربوية والتعليمية عبر هذا الدرس، فيما تناولنا في الثالثة تحلية درسه الحديثي بالإسقاطات الواقعية المعيشة، معرجين في الرابعة على كيفية إبرازه لنزعة القيم الإنسانية التي تقوم على روح الأخوة، وأسس التعايش، ومبادئ التسامح، وفضائل التعاون المشترك، والاحترام المتبادل لبني الإنسانية جمعاء في درسه الحديثي، لنركز في النقطة الخامسة على مدى ترسيخه لقواعد ومقومات الهوية بشقيها العربي

والإسلامي فيه، ولنبرز في السادسة درجة اهتمامه بمناحي القيم الروحية، والإصلاحية، والاجتماعية، والأخلاقية، والحضارية، والدعوية في درسه الحديثي، لنصل في النقطة السابعة والأخيرة إلى محاولة بيان مدى تركيزه في درسه الحديثي على الجوانب التطبيقة، التي تكون معالم هداية، وخطوة تنفيذ للنص النبوي المتناول والمدروس .

هذه جملة من المؤيدات التي ارتكزت عليها خطتنا في هذا البحث، والتي سنسعى جاهدين لتجسيدها في مضامين مداخلتنا، وذلك خلال تناولنا لها عبر هذه النقاط آنفة الذكر .

الخاتمة :وقد كانت لتسجيل جملة من النتائج والتوصيات .

بعد هذه المقدمة المنبئة ابتداء عن مضامين موضوعنا هذا نشرع في تناول نقاطه التي انبنى عليها، وذلك عبر النقاط الآتية :

أولا ــ تجليته للجوانب العقدية، ومحاربة البدع

ودحض الشبهات خلال الدرس الحديثي

ويمكن إحصاء جملة من هذه الجوانب العقدية، والبدع، والشركيات، والشبه التي استقى تحريمها من شرحه لجملة من الأحاديث النبوية الشريفة، من خلال تنصيصه على [1]:

1 ـ بيانه لأهمية الإسلام الذاتي، ـ باعتباره مبحثا من مباحث العقيدة ـ في نهضة ورقي الأمم وتقدمها، والمقارنة بينه وبين الإسلام التقليدي في دروسه وخطبه ومحاضراته، والذي كان يرى بنيانه على الفكر الثاقب، والنظر السديد، حيث يقول : " فالإسلام الوراثي مبني على الجمود والتقليد فلا فكر فيه ولا نظر، أما الإسلام الذاتيُ فَهوَ إسلام من يفهم قواعد الإسلام، ويدرك محاسن الإسلام في عقَائده، وأخلاقه، وآدابه، وأحكَامه، وأعماله، ويتفَقه ـ حسب طاقته ـ في الآيات القرآنية والأحاديث النَبوية، ويبني ذلك كله على الفكر والنظر، فيفرق بين ما هو من الإسلام بحسنه وبرهانه، وما ليس منه بقبحه وبطلانه، فحياته

[1] ابن باديس : مجالس التذكير من حديث البشير النذير 152 ــ 155، ، وعمار الطالبي : الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 2 ص : 237 ـ 244، و250 ـ 253 .

حياة إيمان وعمل، ومحبته للإسلام محبة عقلية قلبية بحكم العقل والبرهان، كما يقتضي الشعور والوجدان . " [2] .

2 ـ حرمة بناء المساجد على قبور الصالحين، لقوله صلى الله عليه وسلم : " لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . "[3]، ولأن القبر المعظم ببناء المسجد عليه، " قد يعتقد فيه النفع والضر، والعطاء والمنع، فيدعى ويسأل، وتطلب منه الحوائج، وتخشع عنده القلوب، وتنذر له النذور، وهذه من العبادة التي لا تكون إلا لله ." .

3 ـ النهي عن بناء القبور وتجصيصها لنهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يجصص القبر وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه [4].

4 ـ تنبيهه في دروسه الحديثية إلى ابتعاد المسلمين عن كل مظاهر الشرك بشقيه اللفظي والعملي، وذلك لما راعه من وقوع بعض بني وطنه في ذلك، فراح يحذرهم في درسه الحديثي من الأفعال الشركية، وذلك بتصحيح عقائدهم العملية، وألفاظهم القولية .

5 ـ إزالته لبعض الشبه العقدية، المتعلقة بالأفعال التي يتراءى للناس أنهم يفعلونها بقصد حسن، غير أنه صنيعهم فيها يؤدي في نهايته إلى المفسدة فإنه اعتبر ذلك في دائرة الشبه الواجب منعها والنهي عنها، لا سيما وأنه كان يشاهد بأم عينه التوسل بالأموات وتقديم القربات لهم مما يعد في دائرة العبادات التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى، وإن قال أصحابها بأنهم لا يفعلون ذلك تعبدا، وشركا، لكنه بتعاقب الأزمنة وتجهيل فرنسا للجزائريين، قد يصلون إلى وقوعهم في شبه عقدية تصنف في دائرة المحرمات والكبائر، هذا وقد عزز ذلك باستشهاده بما فعله قوم سيدنا نوح عليه السلام مع بعض صالحيهم، إذ نصبوا لهم أصناما في أمكنة جلوسهم وفاء لهم وتذكرا لصلاحهم، لكنهم بعد مدة من الزمن اختلط عليهم الأمر واشتبه فعبدوهم، وقد

---

[2] الشهاب، ج : 3، مجلد : 14، الصادر في : 14 ماي، سنة : 1938م، ص : 105 .

[3] البخاري : الجامع الصحيح، ـ بالفتح ـ، كتاب : الجنائز، باب : ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، رقم : 1265، ج : 1 ص : 238، ومسلم : الجامع الصحيح، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة، باب : النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، رقم : 529، ج : 1 ص : 104 .

[4] مسلم : الجامع الصحيح، ـ بشرح النووي ـ، كتاب الجنائز، باب : النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، حديث رقم : 970، ج : 7 ص : 32 .

سُجّل ذلك في كتاب الله حيث جاء فيه : " وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا " [5]، فكان الشيخ ابن باديس حريصا على دفع مثل هذه الشبه في درسه الحديثي، والتي أوقع فيها الجهل وعزز انتشارها المستدمر البغيض .

6 ـ معالجته في درسه الحديثي لمسألة التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه بعدما أورد فيها حديث عثمان بن حنيف الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد : أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في. [6].وبعدما قام بتخريج الحديث ودراسة أسانيده، وإيراد أقوال بعض العلماء فيه حكم بتصحيحه، وبين صلاحية استنباط الأحكام الشرعية العملية منه، ثم راح يسرد الأقوال الواردة في مسألة التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ليصل إلى تحرير سبعة أقوال في المسألة جمعها تحت عنوان : **تلخيص وتحصيل** على النحو الآتي [7]: **حيث يقول : " تحصل لنا من جميع ما تقدم :**

1 – أن دعاء المخلوق وحده أو مع الله ممنوع .

2 – وأن التوسل بدعائه في حياته – وهو من المؤمنين ـ مطلوب ومشروع .

3 ـ وأن التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم جائز مرجوح.

4 ـ وأن التوسل بذات غيره من أهل المكانة المحققة له وجه في القياس,

---

[5] نوح : 23 و 24 .

(6) الترمذي : الجامع، كتاب الدعوات، باب : في دعاء الضيف، حديث رقم : 3578، ج : 4 ص : 352، وأحمد : المسند ج : 4 ص : 138، وابن خزيمة : الصحيح، ج :2 ص :225، والطبراني : المعجم الكبير،ج : 9، ص : 17، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، ج : 1ص: 707 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وابن ماجه: السنن، كتاب :إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الحاجة، حديث رقم : 1385.

[7] ابن باديس : الشهاب ، ج : 3 مجلد : 8، أول ذي القعدة، 1350 هـ الموافق لـ : شهر مارس : 1932 م، ص : 145 وما بعدها، ومجالس التذكير من حديث البشير النذير 38 ـ 39، و46 ـ 47 ، وعمار الطالبي : الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 2 ص : 195 ـ 196 .

5 ـ وأن التوسل بذات غيره ممن ليس لنا اليقين القاطع بمقامه لا وجه له .

6 ـ وأن طلب الدعاء منه بعد موته بدعة لم يفعلها الصحابة .

7 ـ وأن الراجح في التوسل إلى الله هو التوسل إليه بأسمائه، وصفاته، وأعمال العبد في أنواع طاعاته ." .

من خلال ما سبق يتضح اهتمام الشيخ ابن باديس بمسائل العقيدة التي كانت تدور في فلك مجتمعه، والتي في مقدمتها التوسل بمن يعتقد صلاحهم من الأولياء، فراح الشيخ رحمه الله إلى بيان التوسل بالأعلى وهو النبي سيد الصلحاء والأتقياء والأبرار ليبين لهم حكم التوسل به ــ من أجل أن يقاس عليه حكم التوسل بالأدنى ــ في هذه المسألة العقدية المتفشية والمستشرية في واقعه المعيش، كما أنه كان منصفا في عرض الأقوال المختلفة الواردة في قضية التوسل، رغم قناعته بالرأي القائل بالتوسل بأسماء الله وصفاته، وترجيحه له، وعدم التوسل بما حرر بيانه في بعض هذه الأقوال المختلفة في المسألة على طريقته المعروفة والمعهودة عنه في توخي الاحتياط في تبني الأحكام العملية في مجال العقائد .

ثانيا ــ تركيزه على إبراز وترسيخ النواحي التربوية والتعليمية عبر الدرس الحديثي

ويتجلى ذلك من خلال النماذج الآتية :

1 ـ الصبغة التربوية والتعليمية المتأصلة في شخصيته : ويؤكد ذلك ما رواه عنه تلميذه علي مرحوم من أنه كان يخاطب طلبته بقوله : " عدّوني دائما من المعلمين، فوجودي في الأندية الأدبية والسياسية لا يسلبني صفة المعلم، ولا يعوقني عن مهنة التربية والتعليم . " [8].

2 ـ اهتمامه بتعليم المرأة : لقد ورد في دروسه الحديثية الحث على تعليم المرأة، مبوبا لبعض الأحاديث التي تولى شرحها بقوله: " حق النساء في التعلم "، و" تعليم النساء الكتابة "[9].

---

[8] محمد الصالح الصديق : المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله، ص : 74 .

[9] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص : 157، 159 .

يقول الشيخ ابن باديس : " إذا أردنا أن نكون رجالا، فعلينا أن نكون أمهات دينيات، ولا سبيل لذلك إلا بتعليم البنات تعليما دينيا، وتربيتهن تربية إسلامية، وإذا تركناهن على ما هن عليه من الجهل بالدين فمحال أن نرجو منهن أن يكوّن لنا عظماء الرجال "[10] وقال أيضا : " إذا كان الطائر لا يطير إلا بجناحين، فإن المجتمع لا ينهض إلا بالجنسين، الرجل والمرأة "[11] .

ولمزيد عنايته وحرصه على تعليم النساء فإنه لما أسّس جمعية التربية والتعليم بقسنطينة، افتتح بها قسما خاصا بتدريس البنات، ولم يكتف بذلك بل جعل تعليمهن بالمجان، معفيا إياهن من الرسوم المدرسية، وخصهن في سنوات حياته الأخيرة بدرس أسبوعي[12] .

3 ـ حثه في درسه الحديثي على تعلّم اللغات : حيث بوب لحديث زيد بن ثابت بقوله : " تعلم اللغات المحتاج إليها " والذي قال فيه : " أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي، قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْته لَهُ قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ . " [13] .

وهذا من حكمة الشيخ ابن باديس إذ كان يرى أن كل قوم تربط بينهم مصالح لابد لهم من التعاون، ولا يتم هذا الأخير إلا بالتفاهم عن طريق المشافهة والكتابة، وذلك لأن المصلحة تقتضي ذلك مما يوجب تعلم لغتهم، ثم يسقط ذلك على واقعنا المعيش مبينا بأننا نحن اليوم قد ربطت بيننا وبين أمم أخرى مصالح مما يحتّم علينا معرفة لغتهم وخطهم، وهم كذلك عليهم معرفة لغتنا وخطنا تحقيقا للمصالح المرجو تداولها بين الفريقين [14] .

---

[10] مجلة الشهاب ج 8 ،مجلد 11 نوفمبر 1935 م .

[11] محمد الصالح الصديق : المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله، ص : 86 .

[12] مركز البحوث والدراسات : التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس ص : 133.

(13) أحمد : المسند ج : 5 ص : 186، وقال فيه الشيخ الألباني: حسن صحيح، في كل من صحيح الترمذي، حديث رقم : 2715 وصحيح سنن أبي داود، ج 2 ص 695 .

[14] ابن باديس : الشهاب ، ج : 2 مجلد : 11، أول صفر، 1354 هـ الموافق لـ : 5 من شهر ماي : 1935 م، ص : 77 ـ 78، ومجالس التذكير من حديث البشير النذير 72، وعمار الطالبي : الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 2 ص : 232 .

4 ـ دعوته طلابه إلى الالتزام بالتربية والأخلاق: ولأدل على ذلك من أنه في بداية كل سنة دراسية، وقبل أن يبدأ التدريس في مختلف مواد البرنامج، والتي منها الدرس الحديثي يخصص لهم محاضرة افتتاحية يزودهم من خلالها بنصائحه الثمينة، وتوجيهاته الرشيدة، وآرائه السديدة فيما به تنصلح أخلاقهم، وتتقوم سلوكاتهم، وتوجه مجهوداتهم للجد في طلب العلم، بل إنه كان يحضر من منزله لمسجد سيدي قموش قبل أذان الفجر ليتأكد من أن طلابه قد استيقظوا لأداء الصلاة والشروع في الدروس، وهذا كله بالرغم من أنه لا يخرج أحيانا من مقصورة المسجد إلا بعد العاشرة ليلا، وبناء على هذه التربية الحازمة طبع من تخرج من مدرسته بطابع الجد والأخلاق والحزم في مدارسهم التي تولوا التدريس بها مقتدين في ذلك بإمامهم الشيخ الملهم ابن باديس رحمه الله تعالى [15].

ثالثا ـ تحلية درسه الحديثي بالإسقاطات الواقعية المعيشة .

وسنجلي ذلك من خلال عرضنا لبعض الأمثلة المسعفة في ذلك :

1 ـ اهتمامه بالجوانب الفقهية المثيرة للغط في أوساط مجتمعه وواقعه المعيش في درسه الحديثي

لقد رأى الشيخ ابن باديس وعايش في واقعه وواقع أبناء مجتمعه ذلكم اللغط الذي يثار كل سنة بخصوص صيام ستة أيام من شوال بعد انقضاء رمضان وهذا باعتبار اعتقاد كثير من بني وطنه كراهة صومها عند الإمام مالك، فراح ـ رحمه الله ـ يعالج ذلك بنزوله لواقعه مبرزا مذهب الإمام مالك وتقييداته المتعلقة بصيامها درءا للفتنة، وتوضيحا للحكم الشرعي، فذهب يناقشها في درسه الحديثي الذي بوب له بقوله : إتباع رمضان بستة من شوال، موردا فيه حديث : أبي أيوب الأنصاري، " من صام رمضان ثم أتبعه ستّا من شوال كان كصيام الدهر "[16] ، ثم حاول تجلية قول الإمام مالك في ذلك، مبينا أن قوله بالكراهة منبنٍ على مذهبه في الاحتياط والخوف من أن يعتبر الناس ذلك من رمضان، لا سيما إذا ورد صيامها متتاليا ومتصلا بيوم الفطر مخافة أن يلحقها أهل الجهالة والجفاء برمضان سدا للذرائع، وإبقاء لما أطلقه الشرع على إطلاقه، من كون صيامها لم يقيد باتصالها برمضان ، هذا فضلا عن أن ذلك وقع في تصرفات الأعاجم، إذ

---

[15] محمد الصالح الصديق : المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله، ص : 75 .

[16] مسلم : الجامع الصحيح، كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعا لرمضان، حديث رقم: 1164، ج 2، ص. 822.

كانوا يتركون المسحرين وكل شعائر رمضان على حالها إلى انقضاء الستة أيام من شوال ثم يظهرون شعائر العيد، ليصل الشيخ ابن باديس بعد بيان دواعي الإمام مالك للقول بكراهة صيامها إلى ترجيح صومها طمعا في مغفرة الله ورضوانه، وعملا بترغيب نبينا لصيامها غير ملتزمين وصلها ولا موالاتها كما نص على ذلك في آخر درسه الحديثي[17].

هذا وإن المتأمل في كتب المالكية يجد تقييد كراهة صومها مرهونا بوجود مواصفات لصيقة بصومها يمكننا إيجازها في قول الشيخ الدردير : " فتكره لمقتدى به، متصلة برمضان، متتابعة، وأظهرها معتقدا سنة اتصالها "[18].

هذا مع التنبيه إلى أن جمهور الفقهاء يرى استحباب صيامها عملا بالمرويات الحديثية الواردة في ذلك [19].

2 ـ إرشاد مخاطبيه في درسه الحديثي للاهتمام بالبيئة باعتبارها محضنا لواقعهم المعيش :

ويبرز ذلك جليا من خلال الحفاظ على نظافة واقعه ومحيطه البيئي، حيث عقد لذلك بابا في درسه الحديثي عنون له بقوله : " نظافة الطرق والمجالس أو مصلحة من مصالح البلدية "[20]، وذلك لكونه كان يدرك أهمية نظافة المحيط البيئي المعيش وانعكاساته على الصحة العامة، وكذا ما تجره الأوساخ والأقذار من أمراض ونكسات صحية على الساكنة، فأورد فيه حديث أبي هريرة " اتقوا اللَّعانين "، قالوا : وما اللعانان يارسول الله ؟، قال : " الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم . "[21]، وهذا شعور منه بأهمية نظافة ونقاوة البيئة باعتبارها موئلا وموطنا لعيش الإنسان في مناخ نقي لا ضرر فيه ولا ضرار، ولا قذر، ولا وسخ، ولا إذاية لهذا المحيط البيئي المعيش، كما كان يرى أن من " أحسن المصالح التي يقوم عليها اجتماع الناس في التمدن الحاضر وألزَمها، مصلحة التنظيف في الإدارات البلدية "، ثم بين بأن نظافة البيئة من أصول المصالح

---

[17] مجالس التذكير من حديث البشير النذير 56 ـ 59 .

[18] الشرح الكبير ج 2 ص : 141 .

[19] الشيرازي : المهذب، ج 1 ص : 187، وابن قدامة : المغني، ج 3 ص 172 .

[20] مجالس التذكير من حديث البشير النذير 146 .

[21] مسلم : الجامع الصحيح، كتاب : الطهارة، باب : النهي عن التخلي في الطريق، حديث رقم : 269، ج : 3 ص : 503 .

التي تقوم عليها الحياة وترقى بها المجتمعات[22]، وبهذا يضرب الشيخ ابن باديس أروع الأمثلة في إسقاطات دروسه الحديثية على واقعه المعيش، أملا في تحسين ظروف ساكنته، ورغبة في معالجة أدوائهم، ولذلك تميزت دروسه ببعدها عن المثاليات الجوفاء التي لا تمّ للواقع المعيش بصلة، بل وإغراقها في الاهتمام بما يخدم واقع أمته المعيش .

رابعا ـ إبرازه لنزعة القيم الإنسانية في درسه الحديثي

هذه النزعة التي تبناها الشيخ ابن باديس في دروسه، والتي تقوم على غرس روح الأخوة، وأسس التعايش، ومبادئ التسامح، وفضائل التعاون المشترك، والاحترام المتبادل لبني الإنسانية جمعاء، فها هو في درسه الحديثي، المتعلق بذكرى ميلاد رسول الله، وسيرته العطرة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يبن ذلك بجلاء حيث يقول : " **أيها البشر** في مثل هذا اليوم ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فولدت الإنسانية ولادة جديدة، وأشرق على الكون نور لم يلح من قبل، أضاء لبني آدم طريق العلم والعمل، والحرية و السلام في حظيرة الإخاء العام، فعودوا بالذكرى إلى حياة هذا الرجل الإنساني، كيف أرضعته بدوية عربية، وحضنته أمة حبشية، وتبنى مملوكا رقيقا، ثم اتخذه أخا ومولى، ثم عقد ألوية الإمارة للموالى على العرب غير مرة، وأدنى بلالا الحبشي، و سلمان الفارسي، وصهيبا الرومي، لفضلهم و سابقتهم على كثير من كبراء العرب وساداتهم، وذاق ألم الإنسانية في اليتم و الفقر و الفقد، وباشر العمل في الرعي و تاجر، وبلا الحياة في الشدة و الرخاء و السلم و الحرب، فقضى حياته يرفع طبقات وضعها الظلم و الجهل ويخفض طبقات رفعها الطغيان و الجبروت، حتى سوى بين بني آدم في الكرامة البشرية، وأسقط اعتبار الأجناس و الألوان في الأفضلية، و أعلن أن لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله، فعودوا إلى الأصول التي جاء بها هذا الرجل، إنها جربت فصحت تجربتها، فقد بنيت عليها مدنية ما في مدنية اليوم من خير هو من أثرها، ولن تسعد الإنسانية إلا بالاحترام، و التسامح، و التعاون، و بالوفاء في التعاقد، وتلك أمهات مما جاء به، فاتبعوه تعيشوا في رغد آمنين. " [23].

---

[22] مجالس التذكير من حديث البشير النذير 146، وعمار الطالبي : الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 2 ص : 170 ـ 172 .

[23] جريدة البصائر، السنة : 4، العدد : 164، الصادر في : 13 ربيع الأول 1358 هـ الموافق لـ : 05 ماي 1939 م .

هذا هو ديدن الشيخ ابن باديس (رحمه الله) في حبه لترسيخ هذه المبادئ الإنسانية في قلوب طلابه ومخاطبيه، رغبة منه في السمو بهم إلى عالم الإيثار والمحبة والتوادد والتعاون المثمر بين بني البشرية، بناء على وحدة الإنسانية بينهم، حتى لكأنه يريد أن يتمثل بقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين يقول :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ الْآبَاءِ أَكْفَاءُ أَبُـوهُـمُ آدَمٌ وَالْأُمُّ حَـوَّاءُ
نَفْسٌ كَنَفْسٍ وَأَرْوَاحٌ مُشَاكِلَةٌ وَأَعْظُمٌ خُلِقَتْ فِيهَا وَأَعْضَاءُ
وَإِنَّمَا أُمَّهَاتُ النَّاسِ أَوْعِيَةٌ مُسْتَوْدَعَاتٌ وَلِلْأَحْسَابِ آبَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ مِنْ أَصْلِهِمْ شَرَفٌ يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطِّينُ وَالْمَاءُ[24]

كما أكد على نزعته الإنسانية هذه في بعض أبيات قصيدته التي ألقاها سنة 1938 م، بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والتي جاء فيها :

قومي هم وبنو الإنسان كلهم عشيرتي وهدى الإسلام مطّلبي
أدعو إلى الله لا أدعو إلى أحد وفي رضى الله ما نرجو من الرّغب [25]

خامسا ــ ترسيخه لقواعد ومقومات الهوية

في درسه الحديثي .

لقد كان من جوهر الدروس الحديثية عند الشيخ عبد الحميد بن باديس الاهتمام بغرس الهوية العربية والإسلامية وروح المواطنة في النفوس، والتي حاول الاستدمار الفرنسي طمسها ومحاربتها، فعقد لذلك في درسه الحديثي عنوانا يقول فيه : " قيمة الرجل بقيمة قومه " وهذا حثا منه على ارتباط الأفراد بهويتهم ذات الأجنحة الثلاثة الإسلامية، والعربية، والوطنية، ثم أورد بعد هذه الترجمة حديث : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى سائره بالحمى والسهر ." [26] مؤكدا من خلاله

---

[24] علي بن أبي طالب : ديوان الإمام علي، ص : 25 .

[25] محمد البشير الإبراهيمي : آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج 2 ص : 37 .

[26] البخاري : الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب : رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: 6011، ج :8 ص : 10 ومسلم : الجامع الصحيح، كتاب : البر والصلة والآداب، باب :تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: 2586، ج : 4 ص : 1999.

على ضرورة ارتباط كل فرد بأمته ارتباط الجزء بكله، في مناحي الحياة المختلفة، الدينية، واللغوية، والترابية [27].

ومما يؤكد نظرة الشيخ ابن باديس الثاقبة لعناصر الهوية، ودعوته للتمسك بها ما جاء في رده على دعاة الاندماج الذين ادعى بعضهم بأنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون الكتب فلم يجدها، بل ومنهم من جنح للقول بأن فرنسا هي أنا ، فقام الشيخ رحمه الله بدحض مزاعمهم حيث قال : " ثمّ إنّ هذه الأمّة الجزائرية الإسلاميّة ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها، وفي أخلاقها، وفي عنصرها، وفي دينها."[28]، وكذا نشره في جريدة الشهاب لمقال بعنوان : " محمد صلى الله عليه وسلم رجل القومية العربية " [29]، بل وخصص للعرب في القرآن مساحة في جريدته هذه موردا الحديث عنهم في ثلاث حلقات[30]، وذلك إيمانا منه بترسيخ هذه الهوية العربية الإسلامية في نفوس مواطنيه .

وللتأكيد أيضا على دعمه للهوية العربية رائعته الشعرية التي جاء فيها :

أشعب الجزائر روحي الفدا لما فيك من عزة عربية

بنيت على الدين أركانها فكانت سلاما على البشرية

---

[27] ابن باديس : الشهاب ، ج : 8 مجلد : 11، شعبان، 1354 هـ الموافق لـ : شهر نوفمبر : 1935 م، ص : 443 ـ 444، ومجالس التذكير من حديث البشير النذير 103 ـ 104، وعمار الطالبي : الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 2 ص : 229 ـ 230 .

[28] عمار الطالبي : الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 3 ص : 309 .

[29] ابن باديس : الشهاب ، ج : 3 مجلد : 12، أول ربيع الأول، 1355 هـ الموافق لـ : شهر جوان : 1936 م، ص : 103 ـ 107.

[30] ابن باديس : الشهاب ، ج : 1 مجلد : 15، أول محرم، 1358 هـ الموافق لـ : شهر فيفري : 1939 م، ص : 21، و : ج 2 مجلد 15، أول صفر 1358 هـ، مارس 1939 م، ص 70، و ج 2 مجلد 15، أول ربيع الأول 1358 هـ، أفريل 1939 م، ص 119.

خلدتم بها وبكم خلّدت بهذي الديار على الأبدية [31]

وللدلالة أيضا على اهتمامه بمسألة الهوية في دروسه وخطبه ومقالاته وفتاويه فتواه بكفر من يتخلى عن العمل بقانون الأحوال الشخصية الإسلامي ويتجنس بالجنسية الفرنسية، حيث يقول :

" ما أكثر ما سئلنا عن هذه المسألة، وطلب منا الجواب في الصحف، ومن السائلين رئيس المتجنسين الأستاذ التركي (الذي لم يجد من يفته في تونس) وكاتبنا برسالتين، فأدينا الواجب بهذه الفتوى : بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله : التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة الإسلامية ومن رفض حكما واحدا من أحكام الإسلام عدَّ مرتدا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع، والمتجنس – بحكم القانون الفرنسي – يجري تجنسه على نسله، فيكون قد جنى عليه بإخراجه من حظيرة الإسلام، وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه، وإثمها متجدّد عليه ما بقي له نسل في الدنيا، خارجا عن شريعة الإسلام بسبب جنايته... والعلم عند الله..." [32].

ومما يعزز ويشدّ على أزر فتواه هذه قصيدته الخالدة :

شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ ..... وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ

مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ ..... أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبْ

أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَهُ ..... رَامَ الْمُحَالَ مِنَ الطَّلَبْ [33]

سادسا ـ اهتمامه بالمناحي الإصلاحية

والدعوية في درسه الحديثي .

لقد كان العمل الإصلاحي يجري من ابن باديس مجرى الدم من العروق، حيث كان إصلاحه عملا ميدانيا، يعززه وعظ شاحن للأرواح، وأفكار نافذة للقلوب، ولغة تدفع بالجهود إلى مسار تصب فيه كل منابض

---

[31] عمار الطالبي : الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 3 ص : 535 .

[32] جريدة البصائر، عدد : 95، الصادر في : جمادى الثاني 1356 هـ : الموافق لـ : 14 /1938/01م .

[33] عمار الطالبي : الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 3 ص : 537 .

الإصلاح[34]، هذا هو ديدن الشيخ ابن باديس، وهذه بعض عدته في عمله الإصلاحي الذي سنبرز ونجلي نزرا يسيرا من جوانبها بما يقتضيه المقام والتمثيل، وذلك من خلال ما يأتي :

1 ـ ترسيخه للقيم الأخلاقية في نفوس طلابه ومخاطبيه : **ومن** ذلك ما ورد في خطابه في المؤتمر السنوي لجمعية العلماء المسلمين سنة: 1937، حيث جاء فيه خطابه لأبناء وطنه مبينا لهم صنيع المستدمر، وحربه على الأخلاق، التي إذا ما فقدت طال ليل الاستعمار في الجزائر، وذلك في بقوله: "وحوربت فيكم الفضيلة فسمتم الخسف، وديثتم بالصغار، حتى ظن أن قد زالت منكم المروءة والنجدة وفارقتكم العزة والكرامة، فرئمتم الضيم، ورضيتم الحيف، وأعطيتم بالمقادة، فجئتم بعد قرن تنفضون غبار الذل وتهزهزون أسس الظلم، وتهمهمون همهمة الكريم المحنق، وتزمجرون زمجرة العزيز المهان، وتطالبون مطالبة من يعرف له حقاً لا بد أن يعطاه أو يأخذه." [35]، ودعما لحرصه على ترسيخ كل من قيم الأخلاق، ومبادئ الحشمة والحياء في أوساط أمته دعوته الجهورية لكل من ابتلي بشيء من المعاصي أن يجتهد في إخفائها وسترها [36] ، وذلك عند تناوله في درسه الحديثي بالشرح والبيان لقوله صلى الله عليه وسلم : " كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه " [37].

2 ـ اهتمامه بإصلاح حال المرأة باعتبارها عاملا أساسا في حسم معركة الجزائريين مع الاستدمار : حيث كان ابن باديس يوليها اهتماما بالغا في دعوته الإصلاحية، باعتبارها مستودع تكوين الرجال المنافحين عن الوطن من جهة، وحتى لا يحولها جهلها إلى حليف للاستعمار من جهة ثانية، إذ كان يرى أن

---

[34] سليمان عشراتي : ابن باديس حواشي وهوامش من الصميم، استبصار في خطوط المرايا المضيئة، ج : 3 ص : 79 .

[35]جريدة البصائر، السنة : 2، عدد : 83، الصادر في : رجب 1356 هـ : الموافق لـ : سبتمبر : 1937م .

[36] مجالس التذكير من حديث البشير النذير 128 .

[37] البخاري : الجامع الصحيح، كتاب : الأدب، باب : ستر المؤمن على نفسه، حديث رقم: 6069 ج :8 ص : 20، ومسلم : الجامع الصحيح، كتاب : الزهد والرقائق، باب : النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، حديث رقم: 2990، ج 4، ص : 2291 .

المرأة تعد عنصرا فاعلا وأساسيا في نجاح المعركة ضد المستدمر[38]، ولذلك اهتم بها في درسه الحديثي، وكذا في محاضراته، وخطبه، ومقالاته، والتي سنبين شطرا من هذا الاهتمام عبر النقاط الآتية :

أ ـ الحفاظ على عرضها وشرفها من أن يداس، ولأجل ذلك خصها في درسه الحديثي بالكلام عن تحريم الخلوة بها حين شرحه للحديث : " إياكم والدخول على النساء " ، فقال رجل من الأنصار : يارسول الله أفرأيت الحمْو، قال : " الحمْو الموت "[39]. ، والحمو هو أخ الزوج ومن في مقامه من أقارب الزوج من غير المحارم [40].

قال الإمام النووي : ((إذا خلا الأجنبي بالأجنبية من غير ثالث معهما، فهو حرام باتفاق العلماء...))([41]).

ولقد صدق الشيخ ابن باديس في حفاظه على نقاء وطهر هذه المرأة، مما جعله يخصص لها حيزا لتنويرها، وتعليمها أحكام دينها المرتبطة بحيائها وحشمتها وعفتها، هذه الأخلاق التي تنعكس إيجابا على المجتمع، فتعلو فيه راية الفضيلة، وترفع فيه قواعد القيم السامية، ويحافظ فيه على شموخ المرأة باعتبارها نواة كل من الأسرة والمجتمع .

ب ـ جعلها شقيقة للرجل في ممارسة العبادة، والخروج لصلاة الجماعة[42] مستشهدا لذلك في درسه الحديثي بقوله صلى الله عليه وسلم : " لا تمنعوا نساءكم المساجد، إذا استأذنكم إليها [43] . "

ج ـ احتفاؤه الكبير بالمرأة إذ خصها بجزء من اهتماماته في لسانه الناطق مجلة الشهاب بمساحة إعلامية خصصها لتراجم الأعلام أُطلق عليها : " رجال الإسلام ونساؤه "، حيث ترجم لأم حرام بنت ملحان ،

---

[38] محمد الميلي : ابن باديس وعروبة الجزائر، ص : 67 ـ 68 .

[39] البخاري : الجامع الصحيح، ـ بالفتح ـ، كتاب : النكاح، باب : لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة، حديث رقم : 4935، ج : 9 ص : 244 .

[40] عمار الطالبي : الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 2 ص : 218 .

[41] . النووي : شرح صحيح مسلم 109/9.

[42] مجالس التذكير من حديث البشير النذير ص : 175 .

[43] مسلم، الجامع الصحيح ـ بشرح النووي ـ، كتاب : الصلاة، باب : خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج مطيبة، 4 ص : 120 .

والربيع بنت معوّذ، وسمية بنت خياط، وهند بنت عتبة، والشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية، رضي الله عنهن [44].

ولقد كان الهدف من هذه التراجم لهؤلاء النسوة هو التأكيد على العناية بهن، وضرورة تعليمهن، وإبراز مواطن القدوة في سيرهن، وإبراز مواقعهن في مجتمع النبوة، وإظهار دورهن في مجالات الحياة ومناحيها المختلفة، لا سيما فيما يتعلق بأثرهن الكبير في ميدان النهضة بالأمم، وسبل إصلاح الأجيال[45] .

3 ـ غرسه لمبادئ وأسس الدعوة في نفوس مخاطبيه ليكونوا بدورهم دعاة إلى الحق والإصلاح :

إن من بين الهموم التي كان يحملها ابن باديس ويوظفها في دروسه محاولة توجيه مخاطبيه إلى ضرورة أن يكونوا دعاة كل حسب موقعه وجهده وطاقته، ومن أمثلة ذلك حين شرحه لحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:(أن رجلا من المسلمين رأى في النوم، أنه لقي رجلا من أهل الكتاب، فقال : نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشاء محمد، وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه و سلم فقال : أما والله إن كنت لأعرّفها لكم، قولوا ما شاء الله، ثم شاء محمد . "[46] ، هذا الحديث الذي بوب له بقوله : النهي أن يقال : ما شاء الله وشئت " وأورد فيه أن الحديث أفاد النهي عن القرن بين مشيئة الخالق، ومشيئة المخلوق بالواو، وجواز القرن بينهما بثمّ، كما بين بأن للمخلوق مشيئة، ولكنها مقيدة ومتأخرة، بخلاف مشيئة الخالق فإنها سابقة ومطلقة مستقلة، ثم بين ضرورة الدعوة إلى هذا الفهم السليم من قبل مخاطبيه، وتبليغه للناس، فقال في نهاية شرحه للحديث تحث عنوان بارز " **العلاج** " : " على من عرف هذا الحديث النبوي أن يعمل به في نفسه وأن ينشره بين الناس وأن يعالجهم به، بتفهيمهم فيه، وتحذيرهم

---

[44] عمار الطالبي : الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 4 ص : 79، 111، 114، 116، 121 .

[45] مركز البحوث والدراسات : التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس، ص : 115 .

[46] ابن ماجه : السنن، كتاب : الكفارات، باب : النهي أن يقال : ما شاء الله وشئت، حديث رقم : 2118، ج : 1 ص : 658، و أحمد : المسند، ج :5 ص : 384، والحديث صححه الشيخ الألباني في : صحيح سنن ابن ماجه تحت رقم : 1734، ج : 2 ص : 200 .

من مغبة مخالفته، والإصرار على معاندته،ولأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم، فإلى التوحيد أيها المسلمون، وإلى الإرشاد أيها العالمون، والله مع الصابرين . " [47] .

ومن الأمثلة الدالة على حثه مخاطبيه وطلبته على أن يكونوا دعاة ضربه الأمثال، وإيراده النماذج الحية لهم من نصوص الكتاب والسنة المؤصلة لذلك، رجاء الاهتداء والاقتداء بما ورد فيها في مجال الدعوة إلى الله، ومن ذلك حين تفسيره لقوله تعالى : " حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ "[48] ، حيث أورد فيه تحت عنوان : " **عبرة وتعليم** " قوله : " فهذه النملة لم تهتم بنفسها فتنجو بمفردها، ولم ينسها هول ما رأت من عظمة ذلك الجند إنذار بني جنسها؛ إذ كانت تدرك بفطرتها أن لا حياة لها بدونهم، ولا نجاة لها إذا لم تنج معهم، فأنذرتهم في أشد ساعات الخطر أبلغ الإنذار، ولم ينسها الخوف على نفسها، وعلى بني جنسها من الخطر الداهم، أن تذكر عذر سليمان وجنده، فهذا يعلمنا أن لا حياة للشخص إلا بحياة قومه، ولا نجاة لهم إلا بنجاتهم، وأن لا خير لهم فيه إلا إذا شعر بأنه جزء منهم، ومظهر هذا الشعور أن يحرص على خيرهم، كما يحرص على نفسه، وألا يكون اهتمامه بها دون اهتمامه بهم . " [49] .

سابعا ــ تركيزه في درسه الحديثي على الجوانب التطبيقية

هذه الجوانب التي تكون معالم هداية، وخطوة تنفيذ للنص النبوي المتناول والمدروس، وللتدليل على ذلك نجده يركز في دروسه الحديثية على التطبيق العملي لما ورد في المرويات الحديثية المتناولة بالدراسة، ومن ذلك محاولة محوه للعادادات الشركية التي كانت متفشية في بيئته كالاستغاثة بغير الله من قول بعض مواطنيه : " بربي والشيخ، بربي والناس الملاح، إذا حب ربي والشيخ، " وهي كلها من كلمات الشرك التي كان هم ابن باديس تنبيه الناس لعدم مشروعيتها في درسه الحديثي، بل وحثهم على تركها[50]،ومن ذلك أيضا : حثه

---

[47] مجالس التذكير من حديث البشير النذير ص : 107 ـ 114، و عمار الطالبي : الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج 2 ص : 240 ـ 245، نقلا عن الشهاب، ج : 6، مجلد 8، غرة صفر: 1351هـ الموافق لـ : جوان 1932 م، ص : 310 ـ 311 .

[48] النمل : 18 .

[49] تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص : 262 ـ 263، وقارن بـ : مركز البحوث والدراسات : التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس، ص : 105 .

[50] ابن باديس : مجالس التذكير من حديث البشير النذير ص : 113 ـ 114، 119 .

على ضرورة الناس لكف وحفظ ألسنتهم في حالتي الجد والهزل أثناء التخاطب فيما بينهم ، وهذا أثناء شرحه لحديث : " عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذابا "[51]، ومن ذلك أيضا سعيه لترسيخ العمل بالسنة في نفوس أبناء أمته، وتحذيرهم من مخالفة ما جاء فيها، وهذا حين شرحه لحديث سالم بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها "، قال : فقال بلال بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: والله لنمنعهن، قال فأقبل عليه عبد اللَّه فسبه سبا سيئا، ما سمعته سبه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقول : والله لنمنعهن . "[52] حيث استفاد منه حث الناس على الالتزام بتطبيق السنة، والتسليم لأحكامها، وعدم مخالفة ما ورد فيها، حيث يقول : " هذا الذي وقع من بلال كثيرا ما يقع مثله أو نحوه من أهل الجهل والبدعة الذين شبوا عليهما وشاخوا حتي صارت البدعة عندهم سنة والسنة بدعة.فإذا ذكرت لهم الحكم الشرعي بدليله من الكتاب والسنة صدوا ونفروا وأبوا واستكبروا وصارحوا بالمخالفة أو سكتوا وأضمروا الخلاف , وما هذا من شأن المؤمنين , فحذار إذا سمعت حكما شرعيا ونصا قرآنينا أو حديثا صحيحا نبويا أن تقابل بالخلاف , بل انشرح لذلك صدرا ولا يكن في صدرك من حرج مما قضى الله ورسوله وسلم تسليما . "[53] .

الخاتمة : بعد مدارستنا لهذا الموضوع خلصنا إلى النتائج والتوصيات الآتية :

أولا ـ أهم وأبرز النتائج المتوصل إليها :

---

[51] مسلم :الجامع الصحيح ، كتاب :البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق، حديث رقم: 2607، ج 4 ص: 2013.

[52] مسلم، الجامع الصحيح ـ بشرح النووي ـ، كتاب : الصلاة، باب : خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج مطيبة، 4 ص : 120 .

[53] ابن باديس : مجالس التذكير من حديث البشير النذير ص : 177 .

1 ـ تميز الدرس الحديثي عند الشيخ ابن باديس بمحاولاته المستميتة قصد غرس مبادئ العقيدة السليمة، في نفوس طلبته ومريديه، رجاء النأي بهم عن الوقوع في الشركيات، والبدع، والشبه المتربصة بدينهم، والتي كان يرى أنها السبب الرئيس لتقويضه من القواعد .

2 ـ محاولة الشيخ ابن باديس (رحمه الله) ترسخ الاعتزاز بالهوية الوطنية، والانتماء للقومية العربية، والانتساب للإسلام في نفوس طلابه ومواطنيه من خلال درسه الحديثي .

3 ـ إشباع درسه الحديثي بالقيم التربوية، والأخلاقية، والدعوية، والإصلاحية، والتعليمية، والإنسانية التي تفيض بمبادئ الرحمة، والتسامح، والتعاون، والأخوة، والاحترام المتبادل بين بني البشر، مع نزوح بيّن للتركيز على ترجمة مضامين دروسه إلى جوانب تطبيقية تجسد في تصرفات المتلقين لها، دون إغفال منه لإسقاطها على وقائع عصره المعيش .

ثانيا ـ أهم التوصيات :

1 ـ الدعوة إلى برمجة ما جمع من آثار ابن باديس المتعلقة بدروسه الحديثية على طلاب الثانويات في مادة التربية الإسلامية، وكذا إدراجه كدروس وخطب منبرية بالمساجد الجزائرية .

2 ـ ضرورة الاهتمام بالتراث الفكري للشيخ ابن باديس أكاديميا، وذلك من خلال برمجته في المساقات الجامعية، ومعالجة مضامينه في المقالات، والبحوث، والأطاريح العلمية .

3 ـ محاولة جمع وطبع تراث أقطاب جمعية العلماء المسلمين، وتوزيعه بالمجان على مكتبات المؤسسات العلمية، والتربوية، والثقافية بهذا الوطن الحبيب .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

(أ)

الإبراهيمي : محمد البشير :

ـ آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، جمع وتقديم ابنه الدكتور : أحمد طالب الإبراهيمي، ط : 1، 1997 م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان .

الألباني : محمد ناصر الدين :

ـ صحيح الترمذي، صحيح الجامع، ط ؟ المكتب الإسلامي. بيروت. لبنان.

ـ صحيح سنن أبي داود، ط ؟ المكتب الإسلامي. بيروت. لبنان.

ـ صحيح سنن ابن ماجه، ط ؟ المكتب الإسلامي. بيروت. لبنان.

(ب)

ابن باديس، عبد الحميد :

ـ تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب : توفيق محمد شاهين، وومحمد الصالح رمضان، علق عليه وعزا آياته، وخرج أحاديثه، أحمد شمس الدين، ط : 1، 1416 هـ / 1995 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ط : 1، 1403 هـ / 1983 م، دار البعث قسنطينة، الجزائر .

ـ مجلة الشهاب ، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، الجزائر .

ـ جريدة البصائر، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، الجزائر .

البخاري : محمد بن إسماعيل :

ـ الجامع الصحيح، دار المعرفة. بيروت. لبنان.

(ت)

الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة :

ـ جامع الترمذي. حققه وصححه عبد الرحمن محمد عثمان. دار الفكر. بيروت.

(ح)

الحاكم النيسابوري : محمد بن عبد الله :

ـ المستدرك على الصحيحين، ط: سنة 1411 هـ / 1990 م مراجعة : مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت .

ابن حجر : شهاب الدين : أبو الفضل : أحمد بن علي العسقلاني :

ـــ فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق : عبد العزيز عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت. لبنان.

ابن حنبل : أحمد :

ـ المسند. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار الجيل للطباعة. الفجالة. مصر.

(خ)

ابن خزيمة : أبو بكر ،محمد بن إسحاق النيسابوري:

ـ الصحيح ،ط : ؟ ،1390 هـ / 1970 م ،مراجعة : محمد مصطفى الأعظمي ،المكتب الإسلامي بيروت ،لبنان .

(د)

الدردير : أحمد بن محمد :

ـ الشرح الكبير. دار الفكر.

(ذ)

الذهبي : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز **الذهبي** :

ـ التلخيص، ط: سنة 1411 هـ / 1990 م مراجعة : مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت .

(ش)

الشّيرازي : أبو إسحاق :

ـ المهذب، هامش المجموع. دار الفكر .

(ص)

الصديق محمد الصالح :

ـ المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر .

(ط)

الطالبي عمار :

ـ الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ط : 1، 2014 م، دار عالم المعرفة، الجزائر، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان .

الطبراني ::أبو القاسم سليمان بن أحمد :

ـ المعجم الكبير ،ط : 2 ،مكتبة ابن تيمية ،القاهرة ،مصر .

(ع)

عشراتي سليمان :

ـ ابن باديس حواشي وهوامش من الصميم، استبصار في خطوط المرايا المضيئة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر .

علي بن أبي طالب :

ـ ديوان الإمام علي، تحقيق الدكتور : عبد المنعم خفاجي، توزيع مكتبة لسان العرب، ط : ؟، ت : ؟، دار ابن زيدون، والمكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر .

(ق)

ابن قدامة : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد موفق الدين :

ـ المغني على مختصر الإمام أبي القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي (ت 334 ه). ط : 1403 ه/1983 م. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان.

(م)

ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني :

ـ سنن ابن ماجه. حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر, بيروت.

مركز البحوث والدراسات :

ـ التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس، مجلة البيان، 1435 هـ، إعداد : مركز البحوث والدراسات في مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري :

ـ الجامع الصحيح. ط: سنة 1374هـ/1954م, مراجعة : محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي , بيروت. لبنان.

الميلي محمد :

ـ ابن باديس وعروبة الجزائر، ط : ؟، 2007 م، وزارة الثقافة الجزائرية، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية .

(ن)

النّووي : أبو زكريا يحيى بن شرف :

ـ شرح صحيح مسلم , ط: 1 , 1347 هـ / 1929 م , دار إحياء التراث العربي, بيروت, لبنان.